المنهج اللغوي في دراسة القرآن – ابن دريد في كتابه الاشتقاق نموذجا

منجد مصطفى بهجت*
رضوان جمال**

ملخَّص

اشتهر ابن دريد لغوياً، وذاع صيته معجمياً، وتعدَّدت الدراسات حوله في هذين المجالين، وعلى الرغم من وقوف الدارسين على كتابه الاشتقاق، وبيان أهميته بوصفه من الكتب الأولى التي أُلِّفت في رد الأسماء إلى أصولها، سواء أتعلق ذلك بالأفراد، أم بالقبائل، أم بالأسر، أم بالشعراء، أم بغيرهم؛ فإنها لم تتوقف عند منهجه في دراسة القرآن. وقد لا يوحي اسم الكتاب أو مضمونه بالصلة بينه، وبين التفسير؛ لكن الدراسة الفاحصة له أبرزت هذه الصلة من خلال احتجاجه الكثير بالقرآن الكريم الذي يمثل نصف شواهده النثرية. واقتضت طبيعة البحث أن يقف عند مفهوم التفسير، والتعريف بابن دريد اللغوي ومنزلته وآثاره، ومناهج اللغويين في التفسير. ولقد توصَّل البحث إلى نتائج، أهمها: أن منهج ابن دريد في التفسير قائم على الإيجاز والاختصار، والوقوف عند بعض الأحكام، وتنوع المصادر، وسياق وجوه المعاني، وإيراد بعض الوجوه الغريبة في التفسير، والتمثل بنظائر الآيات، والتعرض للقضايا الصرفية، وبعض المباحث اللغوية، والمعرب والدخيل، والاقتباس في سياق الأحداث. هذا مبلغ جهدنا في تحليل منهجه في التفسير، والله ولي التوفيق.

المقدمة

يعد ابن دريد علماً من أعلام اللغة، ممن عرف بإسهاماته في مجال الدراسات اللغوية بشكل واضح، ودون ذلك شهرته في مجال التفسير والدراسات القرآنية من خلال كتابيه: غريب القرآن، واللغات في القرآن، وإن كانا في عداد المفقود كما ستأتي الإشارة إليهما في جريدة مؤلفاته.

* أستاذ بقسم اللغة العربية وآدابها، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية –ماليزيا.
(e-Mail: munjid@iiu.edu.my)
** أستاذ مساعد بقسم القرآن والسنة، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية –ماليزيا.

أما الكتاب الذي نحن بصدد دراسته فهو كتاب الاشتقاق، حيث يقدم صورة مصغرة للتفسير وإن كان عنوانه يقترن بالاشتقاق الذي هو مبحث من مباحث علم الصرف، ومع ذلك فقد صرح ابن دريد قائلاً: "فشرحنا في كتابنا هذا أسماء القبائل والعمائر وأفخاذها وبطونها، وساداتها وثنيانها وشعرائها وفرسانها... ومن ارتضت بحكمه فيما شجر بينها..."[1] وعلل تأليفه لكتابه: "أن العرب كانت لهم في جاهليتهم مذاهب في أسماء أبنائهم وعبيدهم وأتلادهم فاستشنع قوم إما جهلاً وإما تجاهلاً تسميتهم... فطعنوا من حيث لا يجب الطعن..."[2] وتأتي الصلة قوية، والعلاقة متينة بين الكتاب الذي عرضنا مضمونه والقرآن الكريم، ذلك أن التأليف اللغوي الذي سبق ابن دريد كان يقوم في معظمه على أساس الاحتجاج بالشعر.[3]

أما ابن دريد فكانت نسبة الاحتجاج بالشعر عنده تمثل 30% وأما بقية احتجاجه فجاء بالقرآن الكريم والحديث النبوي والأمثال 70% وذلك من خلال شواهده التي بلغت: 1093 شاهداً، ويمثل القرآن الكريم من النثر 48% ويتضح من خلال الكتاب، كيف أن ابن دريد ردَّ الأسماء إلى أصولها اللغوية، في ثمنمائة وواحد وستين أصلاً.[4]

ومن خلال هذا المؤلف البارع، وجدنا دراسات كثيرة، بعضها يتعلق باستقصائه لنسب الرسول عليه الصلاة والسلام والاشتقاق اللغوي لأسماء القبائل والرجال،

---

[1] محسن بن الحسن بن دريد بن حمامي، **الاشتقاق**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون (بيروت: دار الجيل، 1991م)، (مقدمة المؤلف)، ص3.

[2] المرجع السابق، ص4-5، وذلك لأنها سمت أبناءها لأعدائها، وعبيدها لأبناءها، وذلك بأسماء السباع وما غلظ وخشن من الأرض والشجر.

[3] كان أكثر احتجاج سيبويه في الكتاب بالشعر، ثم بالقرآن الكريم، فالحديث، إذ بلغت شواهده الشعرية حوالي 1400 بيتاً بنسبة 77.5% وشواهده القرآنية 400 آية بنسبة 22.2%، وشواهده من الحديث بنسبة 0.2%.

[4] انظر ابن دريد، **الجمهرة** في اللغة تحقيق: رمزي البعلبكي (بيروت: دار العلم للملايين، د. ت.)(فهرس اللغة)، ص597-612.

والآثار الدينية والأدبية ومعارف تاريخية كثيرة.[5] وبعض آخر، وهو موضوع بحثنا متعلق بمباحث صرفية ونحوية ولغوية تتعلق بلغات العرب، والقراءات، والدخيل، والنظائر والمترادفات، والمشترك، والمعرب، وغيره.

ولا بد أن نشير إلى أن معظم الآيات التي سترد في دراستنا، تأتي في سياق التفسير اللغوي بوصفه جزءاً من علم التفسير،[6] وأن كثيراً من المفسرين جعلوا معرفة اللغة العربية شرطاً في فهم القرآن، وقد حصلت الغفلة عن هذا الشرط فوقع فئام من المنشغلين بهذا الفن في الزلل والتحريف.[7] ولعل السبب في تقدم الشعر، أن نصوصه أكثر من النثر، لما هو معلوم من أن ما وصل من الشعر هو أكثر بكثير مما وصل من النثر، وهو الذي يفسر كثرة شواهد سيبويه في الكتاب بالشعر، وقلة شواهده بالنثر. وسنعرض لموضوعنا بالوقوف على مفهوم التفسير بشكل موجز، ثم سنعرف بابن دريد اللغوي، ومنزلته وآثاره، وسنمهد بالحديث عن منهج اللغويين في التفسير، ثم نتوقف عند منهجه في الاشتقاق.

مفهوم التفسير

تعارف الباحثون على أن مصطلح "التفسير" يطلق على العلم الذي يعرف به فهم كتاب الله تعالى المنزل على نبيه عليه الصلاة والسلام، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه.[8] ومن معانيه، بيان الشيء، وإيضاحه، ومن ألفاظه المرادفة، التأويل، ولفظ المعنى[9]، وكذلك: شرح القرآن، وبيان معناه، والإفصاح بما يقتضيه بنصه أو

---

[5] انظر **الاشتقاق**، (مقدمة المحقق)، ص32-33.

[6] مساعد بن سليمان الطيار، **التفسير اللغوي** (رياض: دار ابن الجوزي، ط1، 1422هـ)، ص51.

[7] المرجع السابق، ص41 وما بعدها.

[8] بدر الدين الزركشي، **البرهان في علوم القرآن** (بيروت: دار المعرفة، 1391هـ)، ج1، ص13وما بعدها.

[9] هو تعريف ابن جزي في كتابه **التسهيل في علوم التنزيل** نقلاً عن: الطيار، **التفسير اللغوي**، مرجع سابق، ص21.

إشارته وأشاروا إلى العلوم التي يعتمد عليها، مثل: اللغة، والنحو، والتصريف، والبيان، وأصول الفقه، والقراءات، وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، وغير ذلك.

ابن دريد اللغوي[10]

هو محمد بن الحسن بن دريد بن حمامي، يتصل نسبه بكهلان بن سبأ بن قحطان، ودريد تصغير أدرد من الدرد الذي تحاتت أسنانه وانحصاصها أي ذهاب الأسنان.[11] فهو من الأزد الذين كان مسكنهم في مأرب من أرض اليمن، ثم ارتحلوا فسكن بعضهم في عُمان، وجده حمامي هو أول من أسلم من آبائه، ولد بالبصرة في سنة 223هـ، وكان أبوه من الرؤساء ذوي اليسار وتأدب بالبصرة، وقرأ على علمائها، وحين قامت ثورة الزنج سنة 257هـ رحل إلى عُمان وأقام فيها اثنتي عشرة عاماً، ثم رجع إلى البصرة، وخرج إلى فارس وعمل لعبد الله بن ميكال، وأدب ولده إسماعيل الميكالي، وتولى الكتابة في ديوانها، واقتحم عالم السياسة وتصريف الدولة، وهناك ألف مقصورته الشهيرة في مديح عبد الله وإسماعيل، ولهذا الأخير ألف كتابه **الجمهرة** سنة 297هـ، ثم حطَّ رحاله أخيراً في بغداد سنة 308هـ وأمضى بقية حياته فيها حتى وافته المنية سنة 321هـ، ورثاه عدد من الشعراء.

درس على أشهر أعلام زمانه، عمه الحسين بن دريد، روى عنه كتابه **مسالمات الأشراف**، والأشناندانى الذي روى عنه ابن دريد كتابه **معاني الشعر**، وأبو حاتم السجستاني، وأبو الفضل الرياشي، وغيرهم،[12] حيث بلغ بهم المحقق تسعة عشر، وكان له تلامذة كثيرون منهم: ابن ميكال، وأبو سعيد السيرافي، وأبو علي القالي، وأبو الفرج الأصفهاني، صاحب **الأغاني**، وأبو الحسن الرماني، وابن خالويه،

---

[10] انظر **مقدمة الاشتقاق**، مصدر سابق، ص5-6.

[11] المصدر نفسه، ص292-454.

[12] المصدر نفسه، ص 5-6.

والزجاجي، والعسكري، والمرزباني صاحب **معجم الشعراء**، وأبو القاسم الآمدي صاحب **الموازنة**، والمسعودي صاحب **مروج الذهب**، وأبو علي الحاتمي، وغيره ممن أحصاهم محقق **الاشتقاق** حيث بلغ بهم خمسة وأربعين تلميذاً.[13]

منزلته وآثاره[14]

وقعت شخصية ابن دريد بين القدح والمدح، وكان أكثر ما جاء فيه ثناء عن عدد كبير من العلماء، ومنهم أبو الطيب اللغوي، وابن رزق الأسدي، وياقوت الحموي.

ومما قيل فيه: انتهى إليه علم لغة البصريين، وكان أحفظ الناس وأوسعهم علماً، تصدّر في العلم ستين سنة، وقد جمع بين اللغة والأدب فوصف بأنه أعلم الشعراء، وأشعر العلماء،[15] ووصف بالشاعرية المتميزة، واشتهرت مقصورته التي هي في مئتين وخمسين بيتاً، ونظراً لأهميتها فإنها عورضت وخمِّست، ووشحت وشرحت وبلغت شروحها خمسة وثلاثين شرحاً.[16] وممن طعن فيه أبو منصور الأزهري في مقدمة كتابه **التهذيب**، وكذلك ابن جني في **الخصائص**، ولكن السيوطي اعتذر عن الأخطاء، التي نُسبت له، وبين أنها محدودة في التصريف.[17]

---

[13] **مقدمة الاشتقاق**، ص6-8.

[14] يمكن الرجوع إلى موقع مركز الملك فيصل على الشبكة العنكبوتية، www.kfcris.com إذ يوجد أربع وثلاثون بحثا مسجلاً يتعلق بابن دريد، اثنا عشر في تخميسات المقصورة وشروحها وتسع عن شخصيته وتراثه، وبحثان عن شعره، وأربع عن مقاماته وأماليه، وبعضها بحوث مكررة، وهي في مجملها رسائل جامعية أو مقالات، و لم أجد فيها ما يتصل بزاوية رؤيتنا في بحثنا المتواضع هذا.

[15] المصدر نفسه، ص9؛ ابن دريد، **تعليق أمالي**، تحقيق: السيد السنوسي (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط1، 1984م)، ص16.

[16] **مقدمة الاشتقاق**، ص25. ومنها: **شرح الخطيب التبريزي**، تحقيق: فخر الدين قباوة (بيروت: مكتبة المعارف، 1994م)؛ وموفق الدين الأنصاري (ت.677هـ)، **تخميس مقصورة ابن دريد الأزدي في رثاء الحسين**، تحقيق: عبد الصاحب عمران الدجيلي (بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1997).

[17] **مقدمة الاشتقاق**، ص14، وقد أشار المحقق إلى بعض هذه المواضع.

ومن أشهر كتبه **جمهرة اللغة**، الذي طبع في ثلاثة مجلدات، ثم يليه في الأهمية، **الاشتقاق** الذي هو موضوع بحثنا، فضلاً عن كتبه الأخرى حيث صنفها السيد مصطفى السنوسي فجعلها في ثلاثة أقسام:[18] **المطبوع: صفة السرج واللجام، وصف المطر والسحاب وما نعته العرب الرواد من البقاع، والمجتنى،**[19] **والمقصور والممدود،**[20] **والملاحن،**[21] **والمقصورة**، وديوانه، ومن أخبار أبي بكر بن دريد، والفوائد والأخبار وتعليق من أمالي ابن دريد. **المخطوط: الأخبار المنثورة، شرح لامية العرب، شرح بانت سعاد، مجموعة حكم لسيدنا علي، الألفاظ المشتركة الواقعة بين العرب العرباء ومعانيها. المفقود: أدب الكاتب، الأمالي، والأنباز، والأنواء، والبنون والبنات، وتقويم اللسان، والتوسط والخيل الصغير، والخيل الكبير، ورواد العرب، والسلاح، والغيث فعلت وأفعلت، وما سئل عنه لفظاً فأجاب عنه حفظاً، والمتناهي في اللغة، والمصر والمقتبس، والمقتنى، والوشاح**، ومن الكتب المفقودة ذات الصلة بموضوع بحثنا: **غريب القرآن، واللغات في القرآن، واللغات، وغريب الحديث**. لقد رأى أحد الباحثين أنه "كان موسوعة لغوية، فقد تنوعت أعماله وكثرت... وأنه شارك في مراحل الجمع الأولى للغة. وأن كتابه الاشتقاق يعد أول كتاب من نوعه في متن اللغة. وهو ذخيرة حية لكل باحث يريد ضبط الأعلام".[22]

---

[18] **مقدمة الاشتقاق**، ص15-21؛ انظر ابن دريد، **تعليق أمالي**، مرجع سابق؛ انظر خير الدين الزركلي، **الأعلام** (بيروت: دار العلم للملايين، 1986م) ج6، ص80-81.

[19] ابن دريد، **المجتنى**، تحقيق: محمد أحمد الدالي (دمشق: دار الفكر، ط2، 1982م).

[20] نشر باسم **شرح المقصور والممدود**، تحقيق: ماجد الذهبي وصالح الخيمي (دمشق: دار الفكر، 1981م).

[21] وهو في الدلالات غير الشائعة للألفاظ، تحقيق: عبد الإله نبهان (بيروت: مكتبة لبنان، ط1، 1996م).

[22] شرف الدين الراجحي، **محمد بن دريد وكتابه الجمهرة** (الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1985م)، ص328.

منهج اللغويين في التفسير

نتوقف عند منهج اللغويين في التفسير للعلاقة القوية بين ابن دريد اللغوي، والجانب التفسيري الذي جاء في كتابه **الاشتقاق**. وقد شارك اللغويون في التفسير مشاركة مباشرة تارة، وأخرى غير مباشرة، ويمثل أوائل اللغويين، أبو عمرو بن العلاء (154هـ)، والخليل بن أحمد الفراهيدي (175هـ)، والكسائي (183هـ)، وأبو عبيدة معمر بن المثنى (210هـ)، والفراء (207هـ)، وأبو عبيد القاسم بن سلام (244هـ)، وأبو حاتم السجستاني (255هـ). ومن الأمثلة التي يوردها الباحث مساعد الطيار في النوع الأول في الكتب والمصنفات، التي ألفت في: الفروق، والنوادر، والأضداد، والنبات، وخلق الإنسان، والأنواء، ومن نماذج هذه الكتب كتاب **الغريب المصنف** لأبي عبيد.

وكذلك يمثل هذا النوع، المعاجم التي ظهرت في عصر مبكر، مثل كتاب **العين** للخليل بن أحمد، وكتاب **الجيم** لأبي عمر الشيباني (220هـ)، و**البارع** للمفضل بن سلمة (290هـ)، وكتاب **جمهرة اللغة** لابن دريد. ومن نماذج النوع الأول من التفسير اللغوي في كتب مثل **النوادر** لأبي مسحل، وكتاب **الفرق** لقطرب. ومن نماذج النوع الثاني، كتاب **العين** وقد ساق أمثلة لتفسيرهما؛ وأما المشاركة المباشرة فتظهر في كتب **غريب القرآن ومعاني القرآن**، فقد حفظت المصادر أسماء عدد منها يزيد على العشرين مؤلفاً.[23]

وعلى الرغم من وجود مصنفات تعنى بالمسائل اللغوية في القرآن الكريم، وتركز على التفسير اللغوي، فقد تجاهل كثير من المؤرخين المعاصرين هذا المنهج، ومنهم محمد حسين الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون، وجولدرزيهر (Goldziher, Ignac) في كتابه مذاهب التفسير الإسلامي، زعماً أنه يفتقد البعد الأيدلوجي السياسي الديني الذي يوجه التفسير، وقد استغرقت هذه الحركة اللغوية ستة قرون لتختم بكتاب

[23] الطيار، **التفسير اللغوي**، ص123-127.

البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (745هـ)[24] ومن الدراسات المعاصرة التي كان موقفها مماثلاً، دراسة محمود منيع عبد الحليم.[25]

وبالمقابل تصدَّت دراسة حديثة لهذه الحركة اللغوية من خلال بحث مساعد الطيار بعنوان: **التفسير اللغوي**، وعلى الرغم من الجهد المبذول في هذه الدراسة؛ فإنها أغفلت جهود ابن دريد في كتابه **الاشتقاق**، وكان يمكن أن تدخل في المصدر الخامس من مصادر التفسير اللغوي الذي جاء عنده بعنوان: كتب أخرى لها علاقة بالتفسير اللغوي. وقد لاحظ أحد الباحثين أن ابن دريد في معجمه **جمهرة اللغة**، تميز بأربع ميزات، هي:[26]

1. قلة الاستشهاد بالشعر في تفسير ألفاظ القرآن.
2. تفسيره الألفاظ القرآنية دون ذكر الآيات.
3. توجيهه للقراءات.
4. تحرزه في التفسير.
5. كثرة نسبة التفسير لغيره.

وعلى الرغم من أن هذه الظواهر التي رصدها الباحث، لم تكن ظواهر مدعمة بالإحصاء والاستقصاء، فبعضها قد تكرر عنده في كتابه **الاشتقاق** كما سيتضح لنا. ولما كان التفسير اللغوي يقوم على طريقتين، هما: التفسير اللفظي، والوجوه والنظائر؛ فإنا نقف عند الثانية لأنها متضمنة للطريق الأولى. والمقصود بالوجوه والنظائر، المعاني المختلفة للفظة القرآنية في مواضعها من القرآن، والمواضع القرآنية المتعددة للوجه

---

[24] عُلا الشوبكي، **مظاهر الاشتقاق في تفسير الكشاف للزمخشري، دراسة لغوية دلالية** (رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، 2007)، ص48.

[25] انظر محمود منيع عبد الحليم، **مناهج المفسرين** (القاهرة: دار الكتاب المصري، ط1، 1978م).

[26] الطيار، **التفسير اللغوي**، مرجع سابق، ص398-409.

الواحد التي اتفق فيها معنى اللفظ، فيكون معنى اللفظ في الآية نظير معنى اللفظ في الآية الأخرى.[27]

والمصطلح الثاني للوجوه والنظائر أو الأشباه والنظائر، وهو أقلُّ استعمالاً، حيث جاء في عدد من الكتب.[28]

ومن الألفاظ المشابهة للنظائر، المترادفات، كما جاءت عند بعض الباحثين، والترادف حقيقة لا مراء فيها، وإن داخلها شيء من المبالغة، أدّى إلى ظهور منكرين له.[29] ويرى الزركشي (794هـ) أن الوجوه تعني اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان، والنظائر كالألفاظ المتواطئة، وقيل: النظائر في اللفظ، والوجوه في المعاني[30] ولا نكاد نجد فرقاً واضحاً بين النظائر في اللفظ، والمشترك اللفظي أو ما أطلق عليه: **ما اتفق لفظه واختلف معناه.**[31] والصلة بين الوجوه والنظائر والتفسير اللغوي من ناحيتين: الأولى: الأصل الجامع لمعنى اللفظ في لغة العرب. والثانية: إن بعض هذه الوجوه تكون دلالات لغوية مباشرة تتعدَّد بتعدُّد هذه الدلالات.[32]

---

[27] المرجع نفسه، ص94، وقد جاءت عنده بصيغتين أخريين مماثلتين، هما: أولاً أن يستشهد للفظ القرآني بالشعر، وثانياً أن تفسر اللفظة القرآنية في الآية دون الاستشهاد بالشعر.

[28] الطيار، **التفسير اللغوي**، مرجع سابق، ص94.

[29] كاصد الزيدي، وليد الحسين، **منهج أبي عبيد في غريب الحديث** (لندن: دار الحكمة، 1999م)، ص81.

[30] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، مرجع سابق، ج1، ص102.

[31] في هذا العنوان كتابان الأول لمحمد بن المبارك اليزيدي، تحقيق: عبد الرحمن العثيمين 1987م؛ والآخر لأبي العميثل الأعرابي (240هـ)، تحقيق: محمود شاكر سعيد (المملكة العربية السعودية: نادي جازان الأدبي، 1991م)، واتفقا في حوالي خمسين لفظاً، والأول أشمل وأوسع، انظر مقدمة محمود شاكر سعيد، ص14، ومما ألف في هذا الباب، كتاب الرماني (384هـ) **ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه**، وله كتاب آخر باسم: **الألفاظ المترادفة**.

[32] الطيار، **التفسير اللغوي**، مرجع سابق، ص96.

وقد احتاط العلماء في العلوم التي يحتاجها المفسر، ومنهم الفرَّاء وجعلها خمسة عشر علماً هي:[33] اللغة والنحو، والتصريف والاشتقاق، والمعاني والبيان والبديع، وعلم القراءات، وأصول الدين، وأصول الفقه، وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والفقه والأحاديث، وعلم الموهبة. ويلاحظ إفراد التصريف والاشتقاق عن العلوم الأخرى لأهميتهما.

ومن عناصر التفسير اللغوي للقرآن الكريم، العنصر المعجمي، فشرح الألفاظ عملية مهمة في التفسير، لأنه يتعلق باللفظ المفرد الذي هو أول مستويات التحليل اللغوي.

ويقترن التفسير عند الزركشي بعلم اللغة، والتصريف، والاشتقاق؛ إذ يقول:

النظر في التفسير هو بحسب إفراد الألفاظ وتراكيبها، أما بحسب الإفراد فمن وجوه ثلاثة: من جهة المعاني التي وضعت الألفاظ المفردة بإزائها، وهو يتعلق بعلم اللغة، ومن جهة الهيئات والصيغ الواردة على المفردات الدالة على المعاني المختلفة، وهو من علم التصريف، ومن جهة رد الفروع المأخوذة من الأصول إليها، وهو من علم الاشتقاق.[34]

وقد أكدت الدراسات الحديثة على أهمية الاشتقاق في تفسير القرآن الكريم، ودلالة المشتقات في فهم النصوص القرآنية.[35] كما أوضح أحد الباحثين حاجة المفسر إلى جملة من علوم اللغة بقوله: "فينبغي له أن يعرف المجرد والمزيد، وأغراض الزيادة، واختلاف الصيغ ومدلولاتها، وأن يكون له قدرة قوية في معرفة الاشتقاق، وأحوال المشتقات؛ فإنه أقوى الأدلة القطعية في معرفة الأصلي من الزائد.[36]

---

[33] أبو علي الفرّاء، **مجاز القرآن**، تحقيق: إبراهيم شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، 2002م)، مقدمة المحقق، ص7.

[34] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج2، ص190.

[35] الشوبكي، **مظاهر الاشتقاق**، ص 48.

[36] أبو سعيد محمد عبد المجيد، **الصرف العربي الشامل من خلال القرآن الكريم** (كوالالمبور: دار الفجر، 2000م)، ص26.

منهج ابن دريد في التفسير

أولاً: الإيجاز والاختصار

لعل أبرز ما يميز منهجه أنه كان حريصاً على الإبلاغ والإيجاز في الوقت نفسه، بأقصر عبارة وأوجز أسلوب، ومثل موضوعه يحتاج إلى هذا التركيز، بحكم تكرر الأسماء التي كان تفسيرها وتحليلها هدفه الرئيس من الكتاب.

وقد صرح بهذا المنهج في بعض مصنفاته، حيث يقول: "وجرينا فيه إلى الإيجاز إذ كان الإكثار مقروناً بالسآمة"[37] وهو بهذا المنهج يخالف عدداً من علماء السلف أمثال الجاحظ، والمبرد، وابن قتيبة، الذين نهجوا منهج الاستطراد، ولم يجدوا بأساً فيه؛ إذ كان الهدف نفسه متحققاً، ونسوق بعض العبارات للتدليل على ذلك.

حين تحدث عن الأسماء الأعجمية المختومة بـــ "أيل" في خمسة مواضع مختلفة، وكان إذا أورد الآية اكتفى بموضع الشاهد فيها وربما لم يورد الآية فيقول:و﴿الْكَوْثَرَ﴾ (الكوثر، 1) في التنزيل، ﴿النَّاقُورِ﴾ (المدثر: 8)، في التنزيل و﴿عَسْعَسَ﴾ (التكوير: 17).[38] وربما اكتفى بكلمة واحدة من الآية فيقول: فأما الرقيم في التنزيل، و﴿فَاكِهُونَ﴾ (يس: 55) و﴿لَيَحْزُنُنِي﴾ (يوسف: 13) و﴿بِالسَّاهِرَةِ﴾ (النازعات: 14)[39] أو يكتفي بإيراد كلمتين من الآية: ﴿مَالُهُ وَوَلَدُهُ﴾ (نوح: 21)، و﴿جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ (النجم: 15)، ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴾ (المطففين: 9).[40]

وقد يورد الآية في موضعين ويكتفي في كلٍ بموضع الشاهد،[41] فإذا تمثل على المعنى فإنه يورد آية طويلة كما فعل في سياق توضيح الرد على مزاعم قريش: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ

---

[37] **المجتنى**، مقدمة المحقق، ص20.

[38] **الاشتقاق**، ص270، 248.

[39] المصدر نفسه، ص440، 120، 100، 316.

[40] المصدر نفسه، ص80، 41، 72.

[41] المصدر نفسه، ص274، 534.

أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ، لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (النحل: 103).[42]

ومن أساليبه في الإيجاز أنه يقول: وفيه نزلت ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ (المدثر: 11) إلى آخر الآية. ويقول: وقد تقدم عذرنا فيه. وليس هذا موضعه. ولا أحب الكلام فيها. وستراه في موضعه إن شاء الله.[43] وقد يستخدم أسلوباً آخر فيقول: وقد مر تفسيره، وقد مر ذكره وله حديث[44] وأحياناً يحيل على كتاب آخر له فيقول: وهذا يستقصى في لغات القرآن إن شاء الله.[45]

ثانياً: وقوفه عند بعض الأحكام

ومن خصائصه التي التزم بها، عدم خوضه في الأمور التي اختلف فيها من ذلك قوله: فأما اشتقاق اسم "الله" عزَّ وجل فقد أقدم قوم على تفسيره ولا أحب أن أقول فيه شيئا".[46] وكان لا يجزم في إصدار الأحكام، وهو دليل على تواضعه العلمي، وعدم جرأته في إصدار الحكم دون تروٍ أو تردد فمن ذلك: حين عرض لـــ "ماوية" وذكر وجوه معانيها قال: "والوجه عندي أن تكون من المرآة، وأحسبني قد سمعته من بعض علمائنا هكذا"[47] فهو يحتاط في سماعه إذا لم يجزم به. ويقول في موضع آخر: "والناقور في التنزيل أحسبه من هذا" وفي موضع آخر "ويزعم ابن الكلبي أنه سمي ... ولا أدري ما صحة هذا" وتكرر منه استعمال زعم في مواضع أخرى "وزعم قوم أن

---

[42] المصدر نفسه، ص58.

[43] المصدر نفسه، ص98، 151، 526، 398، 482، 301.

[44] المصدر نفسه، ص130، 131، 178، 205، 151، 185، 266.

[45] المصدر نفسه، ص80.

[46] المصدر نفسه، ص11.

[47] المصدر نفسه، ص41.

الرّت: الخنزير الذكر، ولا أعلم صحته".[48] وإذا لم يكن عارفاً بمصدر الوجه استخدم أسلوب " ويقال " أو " وكذا قال بعض أهل اللغة والله ﷻ أعلم".[49]

وكان إزاء تعدد الآراء يرجح بعضها فيقول: " الوجه عندي" أو " هذا الوجه إن شاء الله ".[50] وقد يرد كلام للعرب مع تفسيره لكنّه يتوقف عنده، ولا يعرف وجهه "يقولون سقاه الشوب بالذوب، فالذوب العسل، والشّوب زعموا: اللين، ولا أدري عما اشتق في هذا الموضع".[51]

أو قد يورد اللغة لكنه يتوقف في نسبتها "وفي بعض اللغات ناقة فيهرةٌ، أي صلبة، لا أدري في أي لغة".[52]

وتكررت عنده عبارات هي "والله أعلم"[53] أو "والله ﷻ أعلم"[54] أو "والله ﷻ أعلم بكتابه"[55] أو "أحسبه من هذا إن شاء الله"[56] أو "ومنه إن شاء الله"،[57] "وكذا فسّر في التنزيل والله أعلم".[58] وكان محتاطاً في تفسير موقف العلماء التي يظهر منها الخطأ، فمن ذلك قوله: "واحتجوا بما ذكره الخليل بزعمهم" ولم يذكر أن الخليل غلط

---

[48] المصدر نفسه، ص248، 532، 398، ولما عرض لمادة الرّت في الجمهرة تكرر الشك منه وقال: زعم ذلك الخليل، ولم يجئ به غيره.

[49] المصدر نفسه، ص130، 296، 39.

[50] المصدر نفسه، ص40، 411.

[51] المصدر نفسه، ص13.

[52] المصدر نفسه، ص26.

[53] المصدر نفسه، ص185، 248، 270، 341، 358، 396، 449، 470، 484، 509، 550.

[54] المصدر نفسه، ص39، 123، 267، 362، 334، 341.

[55] المصدر نفسه، ص72.

[56] المصدر نفسه، ص248.

[57] المصدر نفسه، ص446.

[58] المصدر نفسه، ص120.

أو أخطأ، وتكرر هذا الاحتياط في موضع آخر" وهذا غلط على الخليل، وادعاء على ابن الدقيش".[59]

ثالثاً: تنوُّع مصادره

تنوَّعت مصادر ابن دريد ورواياته عن العلماء وكان أكبر عالمين أحال عليهما: الأصمعي في ست وعشرين موضعاً، وأبو عبيدة في خمس وعشرين موضعاً.[60] ثم يليهما مرتبة نقوله وإحالاته إلى أبي حاتم السجستاني، وابن الكلبي، وبلغت نقوله عنهما خمسة عشر موضعاً.[61]

وفي المرتبة الثالثة رجع ابن دريد إلى الخليل بن أحمد في عشرة مواضع، ويونس النحوي في ستة مواضع.[62] وأحال إلى كتابه **الجمهرة** في ستة مواضع متفرقة،[63] وكذلك إلى **الإنجيل** و**التوراة** في مواضع محدودة[64] وإلى كتابه **لغات القرآن والمعاني** لأبي إسحاق و**الأيام** لأبي عبيدة في موضع واحد لكل.[65]وسنتوقف عند أبرز القضايا المتعلقة بمنهجه في تفسير القرآن الكريم على النحو الآتي:

رابعاً: سياقه لوجوه المعاني

معظم هذه الوجوه تأتي في سياق التفسير اللفظي، ونسوق بعض الأمثلة على وجوه المعاني التي أوردها ابن دريد في سياق بعض الآيات القرآنية، فمن ذلك أنه حين

---

[59] المصدر نفسه، ص4.

[60] انظر فهرس الأعلام في **الاشتقاق**، ص616، 660.

[61] المصدر نفسه، ص648، 670.

[62] المصدر نفسه، ص626، 693.

[63] المصدر نفسه، ص78، 79، 96، 170، 343.

[64] المصدر نفسه، ص164، 5،167

[65] المصدر نفسه، ص26، 129، 21.

ذكر (كنانة) استهلها ببيان كونها: اسم القبيلة، ثم تعرض لبيان معنى كنانة في كلام العرب فقال:

كنانة كل شيء غطاؤه. وكننت الدّر وغيره: إذا سترته وغطيته. وأكننت الحديث: إذا كتمته. والكُنّة: مخدع في البيت شبيه بالرف أو نحوه. وبنو كِنّة: بطن من ثقيف. وكنّة الرجل: امرأة ابنه أو أخيه. وكِن كلِّ شيء: ما اكتننت في ظله، يقال: اكتننت من المطر بالشجرة. وتمثل على الاسم بآيتين واحدة من الصافات 49 والأخرى جاءت في موضعين، النمل 74، والقصص 69 كما سنورده حين حديثنا عن النظائر.[66]

ومن ذلك قوله في "ابن مرة":[67]

ومرة: اسم شجرة، والمُرار أيضاً: شجر، الواحدة مرارة. وآكل المُرار: لقب ملك من ملوك كِندة، الحارث بن امرئ القيس والمرُّ: ضد الحلو. والمرّة: أحد أمشاج أخلاط الطبائع للإنسان. ومِرّة الإنسان: قوته، وقال النبي ﷺ: «لا تحل الصدقة لغني، ولا لِذي مرة سَوى». ويقال: استمر مريرُ فلان على كذا وكذا أي جدّ فيه قال: "وشطّ نواها واستمرّ مريرها". وبعد عرض معاني "مرة" يتمثل بالقرآن الكريم فيقول: وفي التنزيل ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ﴾ (الأعراف: 189) وقرأ قوم: **"فاستمرت به"** أي اشتدّ عليها. ومن ذلك: يوم مستمر: أي ثقيل شديد. ويقال: "أمررت الحبل أمِرّه إمراراً، إذا فتلته فتلاً شديداً، وهو حبل مُمرٌّ". قال الشاعر:

إذا الله لم يُصفِ لي ودها فلن يعطف الود سوط ممَرّ

والمريرة والمِرار والمرّ، حبل يشدّ به الحمل على البعير. وجبل الأمراء: معروف ويلاحظ كيف استقصى ابن دريد معظم وجوه هذا الأصل "م-ر-ر" وأن هناك معنى مركزي هو أصل المادة، ومعان ثانوية أخرى تدور حوله، ولم يأخذ بمعنى الاستمرار

---

[66] المصدر نفسه، ص28-29.

[67] المصدر نفسه، ص23-24، (الأعراف: 189).

أو التدرج، كما بدا لبعض المفسرين،[68] وأن شواهده كانت متنوعة بين حديث وقول، وشعر جاء في ثلاثة مواضع لتعزيز المعنى الذي اختاره للآية.

ومن الوجوه التي عرض لها ابن دريد في لفظة "مسافر" ما يلي:[69]

مفاعل من السَّفَر والسَّفْر: القوم المسافرون، وبين أن الاستخدام العرفي اقتصر على "سافر" ولم يرد "سافر" في معنى السَّفر. والسِّفر: الكتاب من **التوراة والإنجيل** وما أشبههما، وكذلك فسَّره أبو عبيدة في قوله ﷻ: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ (الجمعة: 5) يقال: "كنا في السّفر الأول "أي في الكتاب الأول". والسَّفير: ما طرحته الريح من ورق الشجر. السِّفار: حديدة شبيهة بالحَكَمَة تجعل على خطم البعير. وبعير مسفر: قوى على السّفر. وسفرت المرأة عن وجهها، تسفر سفراً، وكذلك سَفَر الصبح وأسفرَ وتمثل بالقرآن الكريم "والصبح إذا سَفَر" و"أسفر" على اللغتين. وامرأة سافر: حسنة السّفور، سفرْت البيت: أسفره، إذا كنسته، والمكنسة: المِسفرة، السفارة: الكناسة، سفْرت الريح الورق عن وجه الأرض. الورقُ: سَفيرٌ وسَفور، إذا كنسته.

واشتقاق ابن (التِّباعي)[70] من اتِّباع الشيء، يقال: تبعه أتبعه، إذا قفوته لتلحقه، واتبعته، إذا قفوته فلحِقته، وفي القرآن: **"مُّتَّبَعُونَ"** أي ملحقون والله أعلم. والتبيع: الذي يتبعك ولا يفارقك، والتتابع: من هذا اشتقاقه لاتباع بعضهم بعضاً في الملك. والتبع: الظل، لاتباعه الشمس. وليس عليك في هذا الأمر تباعةٌ ولا تبعة.

---

[68] أبو السعود، نقلاً عن محمد علي الصابوني، **صفوة التفاسير** (بيروت: دار الفكر، ط1، 1996م) ج1، ص452؛ وفي، جار الله الزمخشري، **الكشاف**، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي المعوض (الرياض: مكتبة العبيكان، ط1، 1998م) ج2، ص541: "فمضت به إلى وقت ميلاده".

[69] **الاشتقاق**، ص166-167، (الجمعة، 5).

[70] المصدر نفسه، ص433.

ونجد ابن دريد يوجز أحياناً في عرض وجوه المعاني فيقتصر على بعضها، ونسوق على ذلك ثلاثة شواهد: الأول: في بني (دُحّى) قال[71]: من قولهم دحيت الموضع ودحوته، إذا سهلته وسويته ومن قوله تبارك وتعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ (القيامة: 11). ودحيه اسم، ومن هذا اشتقاقه. وأدحى النّعام: الموضع الذي تصلحه لبيضها. والثاني في (وزر)[72]: هو الذي قتل عنترة العبسي، وفد على النبي ﷺ فلم يسلم، الوزر، الملجأ وفي التنزيل: " **لَا وَزَرَ**" والوزر: الإثم، وسمّي وزير الخليفة لأنه يتحمل عنه أوزاره. وقال قوم: الوزير، المعين، من وزارته على كذا وكذا، إذا أعنته عليه.

والثالث في الوازع: "الفاعل في قولهم وزعته أزعه وَزعا، إذا كففته عن الشيء. الوازع: الذي يصلح الصفوف في الحرب، ويكف الخيل... أوزعه الله خيراً، أي: ألهمه وفي التنزيل: ﴿وقال ربي أوزعني﴾" [73] أي ألهمني، ووزعت الشيء توزيعاً، إذا فرقته. ومن الألفاظ التي استطرد في إيراد معانيها "عُبرة" إذ أورد فيه تسعة معان"[74]. لا يتسع المقام لذكرها.

خامساً: ومن غريب التفسير

وقد يفسر الكلمة بمعنى جديد، لا يدل عليه، ولكنه ينقله دون أن ينسبه فمن ذلك قوله:[75] "كوثر فوعل من الكثرة" والكوثر في التنزيل – والله أعلم – يقال: نهر في الجنة. وكذلك قال في بحر:[76] كل ماء كثر ملحاً أو عذباً فهو عند العرب بحر.

---

[71] المصدر نفسه، ص511.

[72] المصدر نفسه، ص396.

[73] جاءت الآية في موضعين: (النمل: 19)، (الأحقاف: 25)؛ انظر **الاشتقاق**، ص424.

[74] المصدر نفسه، ص496، ولمزيد من الشواهد انظر ص374.

[75] المصدر نفسه، ص270.

[76] المصدر نفسه، ص93، 192، (الرحمن: 19).

وكذلك فسر قوله جل ثناؤه: ﴿مرج البحرين﴾ "يعني الملح والعذب إن شاء الله. وفي موضع آخر: فسمي كل نهر واسع بحراً وكذلك جاء في التنزيل... فسمي البحر الملح والعذب بحرين. وكذلك فسَّر "المحراب"[77] في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ (ص: 21) صدر البيت، وأشرف موضع فيه، والغرفة، قال: والتسور لا يكون إلا من سُفل إلى عُلو، وأسند تفسير المحراب بالغرفة إلى أبي حاتم، وعبد الرحمن عن الأصمعي. وفسَّر "الخير"[78] في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ (ص: 32)، فسمَّى الخيل: خيراً، وأسند هذا التفسير بقوله: قال بعض أهل اللغة، والله ﷻ أعلم: أي: لصقت بالأرض من حبي للخيل حتى فاتتني الصلاة، فسمى الخيل خيراً. ورد معنى زنيم إلى موضعين في اللغة:

1. الملصق بالقوم ليس منهم.
2. الذي له زنمة من الشرّ يعرف بها أي علامة.

ورجح المعنى الثاني اعتماداً على تفسير من قال:﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾ (القلم: 13) فقال: إن الله جل ثناؤه، لا يعير بالنسب إنما أراد زنيم، أي له زَنمة من الشر.[79]

وفسر الحكم بالنبوة في قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صبياً﴾.[80]

سادساً: تمثله بالنظائر من الآيات

وهو ما يعرف بتفسير القرآن بالقرآن حديثاً، وأكثر ما كان يتمثل ابن دريد بالآية، ليعزز به المعنى الذي ارتبط بالاسم، ولكنه كان يستعين بالنظائر في بعض المواطن: فمن ذلك، أنه تمثل على "كنانة" بقوله تعالى: ﴿كأنهن بيض مكنون﴾ بعد

---

[77] المصدر نفسه، ص 21، 75.

[78] المصدر نفسه، ص39.

[79] المصدر نفسه، ص175.

[80] المصدر نفسه، ص148، (مريم: 12)، ولمزيد من الشواهد، انظر "سارية" ص175، و"برداً" ص478، و"الدرك" ص30.

ما ذكر أن كنان كلّ شيء: "غِطاؤه، وكننت الدّرّ إذا سترته وغطيته ثم بين أن "مكنون" في الآية من كننت، وتمثل بالآية الأخرى: ﴿ما تكن صدورهم﴾ وبين أنه من أكننت.[81] وكذلك استعان بنظير قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ قوله: ﴿وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ﴾ وبعد أن بين أن معنى الحرث في الآية الأولى "أي يكتسب لآخرته وأن الحرث الزرع بعينه، وربما سمي الإصلاح للزرع حَرْثاً، ثم ترجح له المعنى الأول بدليل الآية الثانية.[82]

ولما بيَّن اشتقاق الوليد من قولهم: وليد ومولود كأنه فِعيل عدل عن مفعول والجمع: ولدان، وكذلك فسَّر في التنزيل في قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً﴾ أتى بنظائر الآية: ﴿يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً﴾ ثم قال: "والوِلد والوُلد: الأولاد وقد قرئ، بهما "**ماله وولده**" و"**ولِده**".[83] وحين عرض لقاسط، قال: واشتقاق (قاسط) من قولهم قسط عليه إذا جار وأقسط: إذا عدل، وكلاهما في التنزيل: ﴿إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾؛ ولكنه حين عرض للاسم نفسه في موضع ثان اكتفى بالآية الأولى فقط.[84] وعرض لـــ"ودّ" فبينَ أنه صنم، بفتح الواو وكسرها، وتمثل بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدّاً﴾ ثم عقب وقال: وقالوا من الحب: وُد وودِ بالضم والكسر، وقد قرئ: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً ﴾ ووِداً.[85]

وسبق القول في الوجوه التي أوردها في (سافر)، ويمكن أن نشير إلى أنه اعتمد إيراد النظائر في معنى السفر حين تمثل بقوله تعالى: "والصبح إذا سَفَرَ" بعد أن أورد تفسير أبي عبيدة في قوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾.[86] ومن المواطن التي أكثر فيها من إيراد

---

[81] المصدر نفسه، ص28؛ (الصافات: 49)، (النمل: 74)، (القصص: 69).
[82] المصدر نفسه، ص 44؛ (الشورى، 20)، (البقرة، 205).
[83] المصدر نفسه، 80؛ (الشعراء: 18)، (المزمل: 17)، (نوح: 21).
[84] المصدر نفسه، ص91- 334؛ (المائدة: 42)، (الحجرات: 9)، (الممتحنة: 8).
[85] المصدر نفسه، ص110؛ (نوح: 23)، (مريم: 96).
[86] المصدر نفسه، ص167؛ (المدثر: 34)، (الجمعة: 5).

النظائر عند وقوفه على "المأموم" فإنه بين أن الأمة: الفرق من الناس من قوله ﷻ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾. ثم انطلق إلى معنى آخر للأمة هو الإمام وتمثل بقوله أيضاً إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلّهِ﴾ أي إماماً. ثم انتقل إلى معنى ثالث نظير المعنيين السابقين هو: الملّة وشفعه بقوله ﷻ: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾.[87]

ومما تقدم يتبين أن استعانة ابن دريد بالنظائر كان محدوداً في مواطن قليلة من كتابه **الاشتقاق** إذا ما قيس بالوجوه التي أكثر منها، من خلال النماذج التي تقدمت الإشارة إليها.

سابعاً: تناوله القضايا الصرفية

كان متوقعاً من ابن دريد أن يعتدَّ بالقضايا الصرفية في كتابه ويتناولها، والسبب في ذلك العلاقة القوية بين كتابه الذي هو **الاشتقاق**، وموضوع كتابه الذي هو شرح لأسماء القبائل والعمائر والأفخاذ والبطون. ولقد حرص على رد الأسماء إلى أصولها، فكان لا بدّ أن يعود إلى الاشتقاق وصوره وأنواعه، والأبنية من أفعال ومصادر، وجموع وتصغير ونسب وإعلال وإبدال على نحو ما سنجده مما هو معروف في المباحث الصرفية. فمن ذلك ما ذكره في أبنية الأفعال: فيما جاء على فعلت وأفعلت، ولاسيما وأن ابن دريد ألف رسالة خاصة بهذا العنوان.[88] قال: وفي التنزيل: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ (الملك: 30)، وغارت المرأة على زوجها، تغار غَيرة بفتح الغين فهي غائر، وغار الرجل في غور تهامة إذا دخله، ولا يقال: أغار فإنه خطأ. ثم روى بيت الأعشى:

نبيٌ يرى ما لا ترونَ وذِكرُه لعمريَ غارَ في البلاد وأنجدا

---

[87] المصدر نفسه، ص236؛ (البقرة: 143)، (النحل: 120)، (المؤمنون: 52).

[88] المصدر نفسه، انظر مقدمة عبد السلام هارون للكتاب، ص18.

وينكر روايته الثانية "أغار لعمري" ومن رواها فقد لحن وأخطأ[89] ويرى في الفعل الواحد أنه يأتي على وزن "فعل" كما يمكن أن يأتي على وزن "أفعل"، وفي القرآن: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ (الصافات: 49) فهذا من كننت، وفي التنزيل:﴿مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ (النمل: 74) فهذا من أكننت.[90]

وفي ﴿بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ (القيامة: 7) يبين الصيغة التي أجازها الجمهور "برق لي ورعد" إذا تهدد. ثم يبين أن البغداديين أجازوا أبرق وأرعد في هذا المعنى، ورفعه الأصمعي، وساق الرواية من طريق أبي حاتم، وأنه استشهد ببيت:

إذا جاوزتْ من ذات عرقٍ ثنيةً فقل لأبي قابوس ما شئت، فارعُدِ

ثم قال لي: هذا كلام العرب، ثم احتج أبوحاتم ببيت للكميت، وأنكره الأصمعي بقوله: الكميت جرمقاني من أهل الشام. يريد أنه أعجمي لا يحتج بشعره. وبذلك نرى ركون ابن دريد إلى الأصمعي في هذه الرواية.[91]

وتجد ابن دريد في بعض المواطن أكثر واقعية حين يقبل الصيغتين، ويوجههما على أنهما لغتان كقوله: "حزنه الأمر فهو محزون، وأحزنه، لغتان فصيحتان، ثم يرجح فعل على أفعل فيقول: "وأكثر كلامهم رأيت فلاناً محزوناً، ولا يكادون يقولون محزناً" وقد قرئ: "ليُحزنني" و"لَيَحْزُنُني"[92] ومن هذا القبيل، تجد ابن دريد يرد يهود إلى أهود وليس إلى هود.[93] وتأتي معاني بعض الصيغ على أوزان أخرى: فعيل من فاعل أو فعيل من مفعول، فالأول مثل: قَصِيّ من قوله تعالى: ﴿ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ (مريم: 22) فكأنه فعيل من فاعل.[94] والثاني مثل: الرقيم: الدواة، وقالوا: الكتاب، فكأنه فعيل عُودِل عن

---

[89] المصدر نفسه، ص18.

[90] المصدر نفسه، ص28.

[91] المصدر نفسه، ص446-447؛ انظر كذلك، ص91.

[92] المصدر نفسه، ص100.

[93] المصدر نفسه، ص549.

[94] المصدر نفسه، ص20.

مفعول.[95] ومثله: في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً﴾ (الشعراء: 18) من قولهم: وليد ومولود كأنه فعيل عدل عن مفعول.[96]

وجاءت الإشارات إلى جموع الأسماء في مواضع متعددة منها: جمع وليد ومولود على ولدان ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ (المزمل: 17) و لم يكتف بهذه الصيغة بل ذكر: الوِلدْ والوُلدْ: الأولاد وعزَّز هذين الجمعين بقراءتين هما: **"مَالُهُ وَوَلَدُهُ"** "وِلده" وأشار إلى مصغر الاسم: الوُلَيِّد.[97] ويحدد المفرد والجمع بالاعتماد على قوله تعالى: ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ (الحج: 73) ﴿يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا﴾ (الحج: 73) فذلك يدل على أنه واحد، وقول الناس: ذبابة وذِبّانة خطأ. والجمع "ذُبٌّ" كما يجمع غُراب غُرُبا، وجراب جُرُبا، وينسب هذا الجمع إلى جرهم بقوله: وسمعت رجلاً جرهمياً يقول: أهلكنا هذا الذب، أي الذباب.[98] وفي قوله تعالى: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ (الذاريات: 10) أي الكذابون، يردُّ الكلمة إلى الخُرص: قناة الرمح، ويورد ثلاثة جموع له: أخراص ومخارص وخرصان.[99]

ويسوق اختلاف القبائل في جمع بعض الكلمات بعد إيراد قوله تعالى: ﴿نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ (آل عمران: 35) إذ يذكر الحرّة: أرض غليظة تركبها حجارة سود، والجمع حِرار، وينقل عن الأصمعي أنه سأل عترياً عن جمع حَرَّة فقال: حِرِّين. وسأل قيسياً فقال: حَرِّين، ونقل عن أبي عبيدة أبياتاً لعلي بن أبي طالب يخاطب بها فاطمة، جاءت فيها: "الأحرين" صورة ثالثة لجمع الحرّة.[100]

---

[95] المصدر نفسه، ص72.

[96] المصدر نفسه، ص80.

[97] المصدر نفسه، ص80.

[98] المصدر نفسه، ص425.

[99] المصدر نفسه، ص509.

[100] المصدر نفسه، ص135-136.

ومن القضايا الصرفية التي تناولها ابن دريد، التصغير، وذلك في تخريجه لـــ"ابن قُصي". "وقصيٌ: تصغير قاصٍ...، وإنما سميَّ قُصياً، لأنه قصا عن قومه، والناحية القصوى والقاصية واحد، وهي البعيدة".[101] وكذلك رد أُبي إلى تصغير أب، مخفف لأنه كان أصله أبْوٌ، فأما الأبّ بالتثقيل، فالمرعى في قوله عز وجل: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبّاً﴾ (عبس: 31)[102] وواضح أن ابن دريد يستخدم المصطلح الكوفي: مخفف، يقابله التثقيل الذي هو عند البصريين التشديد، فقد فسَّر قوله تعالى ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ﴾ وقال: كل ما دب على الأرض من ماشٍ فهو دابة، الباء مثقلة والأصل داببة في وزن فاعلة،[103] مع علمنا بأنه كان بصري المذهب.[104]

ومن إشاراته الصرفية مما يقترن بالتفسير أو الاستشهاد بالقرآن، الإعلال والإبدال أو القلب، فمن ذلك قوله في: ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً﴾ (العاديات: 3) والمغيرة مفعلة من الغارة، وكان أصله مُغْيِرة الغين ساكنة والياء مكسورة فقلبوا كسرة الياء على الغين، وكسروا الغين وأسكنوا الباء.[105] واطردت إشاراته إلى زيادة بعض الحروف على أصل الكلمة، النون[106] قال: وقد قرئ ﴿فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ﴾ (طه: 61) وبين أنه السحتن نونها زائدة كزيادتها في رعشن. وأشار إلى زيادة الواو في جلوبق.[107] ومن

---

[101] المصدر نفسه، ص19.

[102] المصدر نفسه، ص128؛ انظر مواضع أخرى أشار فيها إلى التصغير: هُني، ص509؛ شريح، ص91؛ سميفع، ص525؛ شليل، ص516 وص284.

[103] المصدر نفسه، ص97-98؛ انظر استعمال هذا المصطلح في **منهج أبي عبيد**، مصدر سابق، ص172.

[104] **الاشتقاق**، ص19؛ (هود: 6).

[105] المصدر نفسه، ص17.

[106] المصدر نفسه، ص509 ومن الألفاظ التي أشار إليها بزيادة النون فيها جَرنفس، ص390؛ جرندق، ص561؛ عنكثة 114، وكذلك نبَّه إلى مواضع عدم زيادتها في مثل العرنجج من إعرنجج كأنه إفعنلل.

[107] المصدر نفسه، ص561.

المباحث الصرفية التي عرض لها المقصور والممدود؛[108] إلا أنه لم يقترن بما نحن بصدده من تفسير القرآن الكريم.

ثامناً: تعرُّضه لبعض المباحث اللغوية

وتأتي هذه القضايا أقل بكثير عن سابقتها، المباحث الصرفية، فمن القضايا النحوية قوله: وفي التنزيل ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ (الشمس: 6) أي ومن طحاها، أي بسطها والله أعلم. وهو يشير إلى جواز أن ينوب اسم الموصول الذي هو لغير العاقل "ما" عن الاسم الموصول للعاقل "من". وذكر في سبأ أنها في التنزيل اسم مهموز: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ﴾ (سبأ: 15) فمن صرف سبأ جعله اسم الرجل بعينه، ومن لم يصرفه جعله اسم القبيلة.[109] وجاءت الإشارة إلى الأضداد وهي الألفاظ التي لها معنيان مختلفان اختلاف تضاد وتناقض[110] فقد نص عليه في مواضع[111] وتجاوزه في مواضع أخرى، ومما اقترن بذكر الآيات قوله: شريت الشيء أشريه شرياً، إذا اشتريته، وشريته أشريه إذا بعته، وفي التنزيل: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ [112] وقال في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا عَجُوزاً فِي الْغَابِرِينَ﴾ الغبر من الأضداد عندهم يقال: للماضي غابر وللباقي غابر،[113] وربما شك فقال في شنيعٍ: وأحسبه من الأضداد.[114] وقد تواترت الإشارة لديه إلى لغات العرب والقراءات القرآنية وتوجيهه لها في غير موضع، وقد أشرنا إلى بعضها فيما تقدم، ونشير إلى بعض آخر مما احتج به في ضبط فاء الفعل في مثل قوله:

---

[108] المصدر نفسه، ص19، 74، 500.

[109] المصدر نفسه، ص361-362.

[110] جلال الدين السيوطي، **المزهر**، تحقيق: أبي الفضل إبراهيم وعلي البجاوي (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1361هـ) ج1، ص369.

[111] **الاشتقاق**، ص394، النبل من الأضداد للشيء النبيل والخسيس.

[112] المصدر نفسه، ص503. يوسف 20.

[113] المصدر نفسه، ص341. وجاءت في موضعين: (الشعراء 171)، (الصافات 135).

[114] المصدر نفسه، ص384، وكذلك ص405، مادة (الرهوة).

والسَّم والسُّم: ثقب الإبرة وقد قرئ في "سُمِّ الخياط" ﴿حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾[115] وكذلك في قوله تعالى على لسان السامري: "فقبصت قبصة من أثر الرسول" ليستدل على قبيصة وقبصت قبصة أي أخذت بثلاث أصابعي شيئاً.[116] وليفرق بين المعنيين في القرآن في مثل قوله: ﴿فاكهون﴾ من المزاح والمفاكهة، ومن قرأ "فكهون" فمن اللهو.[117] وقد قرئ بالقطع والوصل في قوله[118]: ﴿فأسر بأهلك﴾ ولتقارب الأصوات في قوله تعالى: "شعفها حباً" وقوله: "صلقوكم بألسنة حداد"،[119] وتأتي القراءة لتدل على ورود الفعل بصورتين رباعياً وثلاثياً في قوله: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ﴾ "لا يَطعَم"، وقوله: "ليُحزنني" و﴿لَيَحْزُنني﴾، [120] وتأتي القراءة بتحريك عين الفعل في قوله: ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ "ظعَنكم"[121] وقد لا يكون وجه الاحتجاج واضحاً في قوله:"لقد كان لسبأ في مَساكنهم".[122]

ومن إشاراته إلى اللغات عند العرب في المعاني أو في بناء الكلمة، تفسير أبي عبيدة لقوله تعالى: ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾ أي مسورون، لغة يمانية، واحتج لهذا المعنى ببيت أنشده أبو عبيدة[123] وفسَّر قوله جل وعز: ﴿مَعَاذِيرَهُ﴾ وهي لغة أزدية، وهي الستور الواحد

---

[115] المصدر نفسه، ص511؛ (الأعراف: 40).

[116] المصدر نفسه، ص194؛ انظر كذلك، ص 26-550؛ (طه: 96).

[117] المصدر نفسه، ص120.

[118] المصدر نفسه، ص175؛ في موضعين: (هود: 81)، و(الحجر: 85).

[119] المصدر نفسه، ص195-476.

[120] المصدر نفسه، ص88-100؛ (الأنعام: 14)، و(يوسف: 13).

[121] المصدر نفسه،ص176؛ (النحل: 80).

[122] المصدر نفسه، ص361؛ انظر كذلك، ص465؛ في موضعين: (طه: 128)، و(السجدة: 26).

[123] المصدر نفسه، ص163؛ في موضعين (الواقعة: 17)، و(الإنسان: 19). وأشار إلى معنى الجعد: النعجة، لغة يمانية 298.

معذار[124]. وربما احتج باللغة، و لم يعرف نسبتها،يقول:"ناقة فيهرة أي صلبة، لا أدري في أي لغة".[125]

تاسعاً: تعرُّضه للمعرَّب والدخيل

أشار إلى ذلك ابن دريد في سياق حديثه عن الاسم إذا لم يكن عربياً في أصله، ورده إلى أصله معززاً رأيه بالشواهد فمن ذلك: قوله في "ابن مرة" ومرة اسم شجرة ثم يسترسل في ذكر معانيها حتى يقول: وفي التنزيل: ﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾ أي اشتد عليها، فأما المرّ الذي يحفر به فأعجمي معرب.[126] وقوله في "عبد شرحبيل" وشرحبيل اسم أحسبه نجراني أو سرياني وقال بعض أهل اللغة: كل اسم جاء في العربية فيه "إيل" فهو منسوب إلى الله تبارك وتعالى. وتكرر تعليقه على اسم رجل من ثقيف هو جابر بن وهب بن عبد ياليل، حيث قال: وزعموا أن ياليل صنم، وقال قوم من أهل اللغة: كل اسم كان فيه "إيل" فهو منسوب إلى الله ﷻ. وتكررت العبارة في مواضع أخرى وحيثما ورد الاسم "وكل ما كان مثل هذا في آخره إيلٌ فهو منسوب إلى الله ﷻ". ثم قال في ولد عمران: الأسد والحجر، فولد الأسد العتيك وشهميل، وقد تقدم قولنا في هذه الأسماء مثل شراحيل، وشرَحبيل، وشِهميل، وعبديل، وعبد ياليل، أنها مضافة إلى الله ﷻ[127] واعتذر عن التعليق على الاسم في موضع لاحق مكتفياً بما تقدم.[128]

ولما تحدث عن بطون الأوس ورجالها ذكر أن منهم: بشر بن أبيرق الشاعر ثم قال: ومنه إن شاء الله:﴿ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ (القيامة: 7) ثم ذكر كلمتين فارسيتين معربتين،

---

[124] المصدر نفسه، ص222، وأشار إلى لغة هذيل في قلب الواو همزة تقول: إشاح بدلاً من وشاح؛ كذلك أشار إلى أن السبلة هي طرف اللحية في بعض اللغات. (القيامة: 15).

[125] المصدر نفسه، ص26.

[126] المصدر نفسه، ص23؛ (الأعراف: 189).

[127] انظر هذه الألفاظ على التوالي في **الاشتقاق**، ص157، 301، 363، 482.

[128] المصدر نفسه، ص526.

هما: البرق، وهو الحمل وبعدها والإبريق فارسي معرب، وأما قولهم: سيف إبريق فهو إفعيل من البرق وهو عربي صحيح،[129] وواضح حرص ابن دريد على رد الأفعال إلى أصولها وأناته في التفريق بين الأصل الفارسي، وما استخدمه العرب من أصل عربي، وفي أسماء بني ربيعة "الساهري" منسوب إلى الساهرة، وهي أرض بيضاء، وفسر قوم: الساهرة في التنزيل[130] فقالوا: "يخلق الله أرضاً لم يعص عليها" ثم عقب بعد ذلك "والساهور: القمر بالسريانية وقد تكلمت به العرب وذكر في الشعر، ولما وصل لنسب الرسول ﷺ إلى عدنان توقف عنده، وأشار إلى أن ما بعد عدنان أسماء سريانية، لا يوضحها الاشتقاق. ومما يتعلق بالمعرب وتضعف صلته بموضوعنا لعدم ارتباطه بالقرآن الكريم، اطراد إشاراته إلى ألفاظ ذات أصول فارسية.[131]

عاشراً: الاقتباس في سياق الأحداث

وكان من الخطاب التفسيري لابن دريد أنه يسوق الحادثة أو المناسبة حيثما اقتضى ذلك، ولا سيما حين يذكر الأعلام من قريش مثلما فعل في العاص بن وائل، إذ قال: "وفي العاص بن وائل: ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ (الكوثر: 3) وفيه نزلت: ﴿أرأيت الذي يكذب بالدين﴾.[132] وذكر الآيات التي نزلت في الوليد بن المغيرة، وكان من المستهزئين وفيه نزلت: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً﴾ (المدثر: 11) وفيه نزلت: ﴿وَلَا

---

[129] المصدر نفسه، ص446.

[130] المصدر نفسه، ص317؛ (النازعات: 14).

[131] المصدر نفسه، ص32، منها اليلمق: القباء المحشو، فارسي. إبرهة: ذو المنار، تبع، حبشينن فرفار: من الشجر، زريندرخت: شجر تتخذ منه القصاع، أو مركب من مراكب النساء، الديزج: نوع من الخيل، السموءل: معرب أشمويل، نيفق: القميص، فارسي معرب، وشهد أبو زيد فقال: "قد تكلمت العرب به"، الفطبون: اسم عبراني، الملك، قابوس: ويحتمل فيه الوجهين العجمة أو العربية "فاعول" من القبس، النجاشي: ويحتمل فيه الوجهين الأصل الحبشي والعربي من النجش، الجروق: قال أحسب أصله أعجمياً، ومما ذكره الفالوذقة الخليفية، الطرمذة الإنجيل؛ انظر الصفحات: 532، 509، 552، 436، 198، 199، 436، 366، 400، 247، 561.

[132] المصدر نفسه، ص127؛ (الماعون: 1).

تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ [133]. ولما ذكر تسمية رجال جمح ذكر أمية بن خلف وأنه قتله ﷺ في أحد مبارزة ثم ذكر: وفي أبي نزلت: ﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه﴾ فإنه جاء النبي ﷺ بعظم حائل، فجعل يفته وينفخه في الريح ويقول له: من يحيي هذا يا محمد؟[134] وذكر قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ (الأنعام: 93) أنها نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح، منافق كان إذا أملى النبي ﷺ "وكان الله غفوراً رحيما" كتب "عزيزاً حكيما"، ثم قال: إن كان محمد يوحى إليه فإنه يوحى إلي![135] وكذلك ذكر الحارث بن قيس الذي نزلت فيه: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ (الجاثية: 23) لأنه كان إذا وجد حجراً أحسن من حجر أخذه فعبده.[136]

وفي سياق بعض الأحداث المقترنة بالآيات تصحيح لبعض المفاهيم عند قريش فمن ذلك ما جاء في وهب بن عمير الذي كان من أحفظ الناس ولذلك كانوا يقولون: له قلبان! من شدّة حفظه، فأنزل الله ﷻ: ﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ (الأحزاب: 4)، وهزم يوم بدر شر هزيمة فعلموا أن ليس له قلبان.[137] وذكر الآية التي نزلت في الأخنس بن شريق، والوليد بن المغيرة، وأنها: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (الزخرف: 31) وتمثل بالآية ثانية حين ذكر عروة بن مسعود، وأنه المقصود بالآية.[138]

---

[133] المصدر نفسه، ص98-151؛ (القلم: 10).

[134] المصدر نفسه، ص129؛ وذكر رواية أخرى في قتله.

[135] المصدر نفسه، ص113.

[136] المصدر نفسه، ص122.

[137] المصدر نفسه، ص13.

[138] المصدر نفسه، ص305-306؛ انظر ص114، حيث ذكر مناسبة نزول "عبس وتولى".

وفي عقاب الأمم التي لم تستجب لدعوة الأنبياء (الأنبياء: 13-15)،[139] ذكر شعيب بن سحلول التي هي من حمير، وأن قومه قتلوه فبعث الله عليهم بخت نصر فأفناهم، ونسب لابن الكلبي أن قوله تعالى: ﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ إلى قوله: ﴿حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً خَامِدِينَ نزل فيهم﴾. ولم يعرف اسم الرحمن في الجاهلية فلما نزلت: ﴿قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ قالت قريش: أتدرون من الرحمن الذي يذكره محمد؟ هو كاهن باليمامة فأنزل ﷻ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾.[140]

وذكر الأسود بن عبد الأسد وأخاه أبا سلمة بن عبد الأسد، كان الأول كافراً، والثاني مؤمناً وفيهما نزل قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ﴾ وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ﴾ (الحاقة، 19-25).[141] ومما تمثل به الصحابة من القرآن الكريم، ابن مسعود ﷺ إذا كان يرى الربيع بن خثي، وكان أعبد أهل زمانه قال: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكاً لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ (الحج: 34)[142] ونسب لبعض الصحابة ومنهم معتب بن قشير أقوالاً حكاها القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراً﴾ (الأحزاب: 13)،[143] وتمثل عمر بن عبد العزيز بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى﴾ (الأعلى: 14).[144]

---

[139] المصدر نفسه، ص527.

[140] المصدر نفسه، ص58؛ (الإسراء: 110)، و(النحل: 103).

[141] المصدر نفسه، ص102.

[142] المصدر نفسه، ص182.

[143] المصدر نفسه، ص438.

[144] المصدر نفسه، ص164.

وأن علبة بن زيد وعبد الرحمن بن كعب كانا من الذين لا يجدون ما ينفقون، ومن الذين تولوا وأعينهم تفيض من الدمع (التوبة 91-92).[145]

البعد الدلالي في النظر في الآيات القرآنية

بعد أن تحدثت عن منهج ابن دريد في تفسيره للآيات القرآنية، لا بد أن أتوقف عند المبادئ التي وظَّفها ابن دريد في دلالة المشتقات، وفي تفسيره للآيات القرآنية، ومن هذه المبادئ أنه لم يتعرض لنوع الاشتقاق الذي كان يعتمده في تحليله للأسماء، كان يورد الاسم ثم يذكر اشتقاقه مباشرة فمثلا: (محمد) مشتق من الحمد (عبد الله) واشتقاق العبد من الطريق المعبّد، ولم يكن يحتج بالآيات دائماً، بل كان يكتفي بإيراد المعاني، فقد ابتدأ حديثه عن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن عبد مناف دون أن يتمثل بأية آية مع إمكانية ذلك[146]. ولما وصل إلى اسم المغيرة تمثل بآية (العاديات: 3)، وربما تمثل بأكثر من آية في بعض الأسماء، واستعان على تفسير الاسم بآيتين أو أكثر،[147] وقد يتمثل بالآية الواحدة في موضعين مختلفين يأتي بها كاملة أو جزءاً منها.[148]

ونجده يكتفي بالإشارة إلى الآية دون أن يوردها على أساس أن السياق يدل عليها، قال: فأما جِساس، فهو فِعالٌ من الجس، وكذلك فسر في التنزيل والله أعلم، ويحمل محقق الاشتقاق أن تكون إشارته إلى قراءتين شاذتين (فتجسسوا من يوسف وأخيه) أو من قوله تعالى:﴿أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ (طه: 97)،[149] ولم يكن تمثله بالآية بقصد رد

---

[145] المصدر نفسه، ص445-458.

[146] انظر مثلاً: شيبة؛ عمرو؛ كلب؛ كعب؛ لؤي؛ غالبذ؛ فهر؛ النضر؛ خزيمة؛ إلياس؛ مضر؛ نزار.

[147] انظر **الاشتقاق**، ص28، 44، 80، 91، 167، 170.

[148] المصدر نفسه، 274، 305، 306، 534.

[149] المصدر نفسه، ص185، والصواب (لا جِساس) حتى يأتي منسجماً مع السياق.

اشتقاق الاسم إلى المعنى، بل كان ربما أورد الآية لعلاقتها بصاحب الاسم، واقترانهما بحادثة تشير إليها الآية.[150]

ونسوق بعض الأمثلة التي توضح الأبعاد الدلالية، في النظر إلى الآيات القرآنية، فقد كان يرجح معنى الاسم اعتماداً على الآية "حرث لدنياه إذا كسب لها ومنه قوله ﷻ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ (الشورى: 20) أي يكتسب لآخرته. والحرث: الزرع بعينه، وربما سمي الإصلاح للزرع حرثاً، والأول أعلى؛ لأن في التنزيل: ﴿وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ (البقرة: 205). وقد يستعين بالآية في توجيه المعنى فمن ذلك قوله في الرحمن، صفة متفردة لله تبارك وتعالى، لا يوصف بها غيره، والدليل على ذلك: ﴿قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ﴾ (الإسراء: 110) فأضاف الرحمن إلى اسمه ﷻ وهذا اسم لم يعرف في الجاهلية. وقد يحتج بالآية ليس لمعناها بل للمناسبة التي تتصل بها فقد تمثل على رد دعوى قريش أن الرحمن هو كاهن باليمامة تمثل بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ (النحل: 103).[151] وقد يستعين ابن دريد بأكثر من آية لتأكيد المعنى الذي يرتبط بالاسم، فمن ذلك قوله:[152] "الوليد من قولهم: وليد ومولود، كأنه فعيل عُدل عن مفعول والجمع ولدان، وكذلك فسر في التنزيل في قوله ﷻ: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً﴾ (الشعراء: 18) وقال ﷻ: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً﴾ (المزمل: 17) والوِلْد والوُلْد: الأولاد وقد قُرئ بهما (ماله: ووُلده) (وِلْده) وقد يورد القراءة الأخرى لتأكيد المعنى ثم يستغرق بعرض صيغها الأخرى ومعانيها".[153] ويعتمد على ذكر اللغات الفصيحة حين يتحدث عن المعاني فيقول عن

---

[150] المصدر نفسه، ص182، 305، 438، 445، 458.

[151] المصدر نفسه، ص58.

[152] المصدر نفسه، ص80.

[153] المصدر نفسه، ص88-89.

الحزن: الغلظ من الأرض، ومثله الحزم، وقد فصل بعض أهل اللغة فقال: الحزن أغلظ من الحزم، ولا أحسب هذا محفوظاً! يريد كأن الأمر غير متفق عليه. ثم ينتقل ليبين اشتقاق الكلمة فيقول حزنه الأمر فهو محزون وأحزنه، ويقرر أنهما لغتان فصيحتان، وأكثر كلامهم رأيت فلاناً محزونا، ولا يكادون يقولون محزنا. ويقدم القراءة الضعيفة على الشائعة فيقول: "وقد قرئ ليُحزنني، وليَحزنني" (يوسف: 113).[154]

ويستعين بالآيتين على ضبط فاء الفعل بالفتح والضم (وُداً) وبالكسر في آية أخرى. ومن أبعاده الدلالية في التمثل على المعنى أنه يورد المعاني المتعددة للكلمة:[155] رجل زنيم: إذا نسب إلى اللؤم، وللزنيم موضعان في اللغة يريد معنيين، ثم يذكرهما، فالزنيم: الملصق بالقوم ليس منهم. والزنيم: الذي له زنمة من الشر يعرف بها أي علامة، واستعان على تأكيد المعنى الثاني برأي بعض المفسرين، قال: "وكذلك رد قوم تفسير من قال: عتل بعد ذلك زنيم، فقال إن الله جل ثناؤه لا يعير بالنسب، إنما أراد بزنيم أي له، زنمة من الشر".[156] وقد يورد معنى الاسم (سارية) ويحتج عليه بالآية، دون أن يذكر معناها، كأن السياق دال عليها.[157]

خلاصة البحث ونتائجه

اشتهر ابن دريد لغوياً، وذاع سيطه معجمياً، وكثرت الدراسات عنه في هذين المجالين، وعلى الرغم من وقوف الدارسين على كتابه **الاشتقاق** وبيان أهميته بوصفه من الكتب المبكرة التي ألفت في رد الأسماء إلى أصولها، مثل: الأفراد، والقبائل، والأسر، والشعراء، وغيرهم؛ فإنها لم تتوقف عند منهجه في دراسة القرآن. وقد لا يوحي اسم الكتاب أو مضمونه بصلة بينه وبين التفسير، ولكن الدراسة الفاحصة للكتاب اهتدت

---

[154] المصدر نفسه، ص100.

[155] المصدر نفسه، ص175.

[156] المصدر نفسه، ص175؛ انظر (هود: 81)، و(الحجر: 65)؛ أيضاً، ص67، (النازعات: 14)؛ وكذلك، ص77.

[157] المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

إلى هذه الصلة من خلال احتجاجه الكثير بالقرآن الكريم، الذي يمثل نصف شواهده النثرية، واقتضت طبيعة البحث أن يقف عند مفهوم التفسير، والتعريف بابن دريد اللغوي ومنزلته وآثاره، ومنهج اللغويين في التفسير.

وتوصَّل الباحث إلى أن منهج ابن دريد في التفسير، يقوم على الإيجاز والاختصار. فكان إذا أورد الآية اكتفى بموضع الشاهد فيها، وكان يتوقف عند بعض الأحكام، ولا يخوض في الأمور التي اختلف فيها، وقد تنوعت مصادر رواياته ومن العلماء الذين روى عنهم: الأصمعي وأبو عبيدة وأبو حاتم السجستاني وابن الكلبي. كما رجع ابن دريد إلى الخليل بن أحمد، ويونس النحوي، ومن منهجه سياقه لوجوه المعاني، في سياق التفسير اللفظي، وإيراده لبعض الوجوه الغريبة في التفسير، وقد يفسر الكلمة بمعنى جديد، لا يدل عليه، ولكنه ينقله دون أن ينسبه، وتمثله بنظائر الآيات، وهو ما يعرف بتفسير القرآن بالقرآن حديثاً، وتعرُّضه للقضايا الصرفيه، والسبب في ذلك العلاقة القوية بين كتابه الذي هو **الاشتقاق**، وتعرضه لبعض المباحث اللغوية، فمنها ما يتعلق باسم الموصول، والأضداد، ولغات العرب والقراءات القرآنية وتوجيهه لها في غير موضع، وتعرضه للمعرب والدخيل، في سياق حديثه عن الاسم إذا لم يكن عربياً في أصله، والاقتباس في سياق الأحداث، حيث يورد الحادثة أو المناسبة، وهذا مبلغ جهدنا في تحليل منهج ابن دريد في التفسير، والله ولي التوفيق.